



الفصل التاسع والثلاثون

إنّه الأفضل

الثامن والعشرون من أيار عام 2011م



ما الذي يمكن قوله؟ ماذا يمكن أن نقول أكثر عن ميسي بعد نهائي ويمبلي؟ كل ما تبقى علينا قوله عن ميسي، هو أنّه الأفضل ببساطة. حكم حظي بإجماع الكلّ، لدرجة أنّ وسائل الإعلام الإنجليزية والأرجنتينية اتفقت أول مرّة، واستخدمت كلمة «الملك» لوصفه. فقد عنونت صحيفة أوليه صدر صفحتها الأولى بعبارة «فليحّم الله الملك»، رابطة موجة الإعجاب التي تحظى بها العائلة البريطانية الحاكمة، في حين كتبت صحيفة ذا سندي تايمز: «حكم الملك ميسي». ولا ننسى لحظة تتويجه «ملكاً لأوروبا» عام 2009م، حين تجرّأ أحد الأنصار على منحه لقب ملك إسبانيا في نهائي فالنسيا (بطولة كأس الملك)، على الرغم من وجود الملك خوان كارلوس نفسه على مقاعد المدرّجات.

قدّم البرغوث أداءً رائعاً في معقل الكرة الإنجليزية، كان أداءً فنياً رائعاً حقاً، فيما غادر البريطانيون الملعب مقتنعين أنّهم شهدوا توتراً ما يمكن أن يُسمّى كرة قدم جميلة بحق. إنّها مباراة ستحكي عنها الأجيال. أداء منحه لقب أفضل لاعب في المباراة وطئت قدماه أرض الملعب، أداء اضطر وسائل الإعلام إلى البوح بكلّ ما في جعبتها من مفردات؛ لتتمكّن من وصفه. أداء جعل صحيفة ذا





ميسي

غارديان تشبّهه بالأداء الذي قدّمه نياندور هيدغوييتي على الملعب نفسه، حين سجّل هاتريك ليقود منتخب المجر إلى الفوز على إنجلترا في خريف عام 1953م. إنّ الأهم من ذلك كله هو الأداء الجماعي الذي قدّمه ميسي. فقد أوجد المساحات، وخلخل خطوط الدفاع؛ بغية تدعيم جبهة البارسا، وإحباط الخطة التي انتهجها مانشستر يونايتد. لقد استخدم مختلف أنواع الذخيرة التي بحوزته: الجري السريع، والإمرار من الأطراف تفادياً للمنافس، والتمريرات الحاسمة، والمحاولات المتكررة لدكّ شباك المرمى. ونجح في جعل دفاع «الحُمُر» يستنزف طاقته في الجري، وزاد من وتيرة مناوراته ومراوغاته حتى عدّه كلُّ من فيديتش وإيفرا كابوسًا مزعجًا يقض مضجعهما. وقد اعترف مدرب الشياطين الحُمُر السير أليكس فيرغسون بذلك، في المؤتمر الذي أعقب المباراة، قائلاً: «بصراحة، لم نتمكن من فرض الرقابة على ميسي، كان ذلك بمنزلة إنذار واضح بالنسبة إلينا. لم نستطع إغلاق منطقة الوسط بصورة كافية تسمح لنا بصدّ هجماتهم».

بدا البرغوث في بداية المباراة محاصرًا في ملعبه، شأنه في ذلك شأن بقية أفراد الفريق. وقد حاول ثلاث مرّات على التوالي خطف الكرة من بارك... لكنّه تمكّن في الرابعة من المراوغة ليبدأ البارسا أخيرًا بفرض سيطرته على الملعب، واختراق خطّ دفاع مانشستر يونايتد وتدميره، مع المحافظة على أسلوبه المميّز، وطريقة لعبه الاستثنائية. نادرًا ما يجري ذلك في نهائي دوري الأبطال. وقد اعترف فيرغسون بذلك قائلاً: «لم يتمكّن أحد من اكتساحنا على هذا النحو من قبل».

عمل ليو إلى جانب تشافي وانيستا، وبدأ ثلاثي الأحلام بإحداث الأضرار، والسيطرة على الكرة، حارمين مانشستر يونايتد من أيّ فرصة. لقد تمكّن الثلاثة من إمتاع الجمهور بإبداعاتهم ودقتهم وسرعتهم.



استطاع واين روني تعديل النتيجة (كان بيدرو قد مَنَحَ البارسا هدف السبق) بمراوغة رائعة على يمين فيكتور فالديز، مانحًا أنصار ناديه أملاً مؤقتًا. لكنّ ذلك لم يعدّ كونه وهمًا لا يقارن بما أنجزه البلاوغرانا في الشوط الأول، وبما سينجزونه لاحقًا. كلُّ ما يحتاجون إليه هو إيجاد التآلق من جديد، بإمرار الكرة إلى الأمام والخلف، والضغط على الخصم بكلِّ ما أوتوا من قوة. إنهم في حاجة إلى وضع حدٍّ للأمر برمّته، ومنّ أقدر على فعل ذلك من ميسي؟

نعود إلى الساحريّين الموجوديّين في منطقة خطِّ الوسط؛ إذ يمرّر تشافي الكرة إلى انيستا الذي يمرّرها بدوره إلى ميسي. يبدو أنّها تمريرة لا تفوح منها رائحة الخطورة؛ إنّها واحدة من (812) تمريرة للبارسا في هذه المباراة (726 منها صحيحة، والـ 86 المتبقية خطأ). يبعد ليو (35) ياردة عن المرمى. يلمس الكرة ثلاث مرّات، ويتحرّك في العمق لتصبح المسافة (20) ياردة قبل أن يستشعر دفاع اليوناييتد الخطر. يحاول إيفرا الاقتراب، لكنّ ليو يتخطّاه، ثمّ يسدّد بمهارة وقوة. لقد كانت تسديدة بالقدم اليسرى من خارج منطقة الجزاء. يلمح صاحب الأربعين عامًا فان دير سار الكرة متأخرًا في آخر يوم من مسيرته الطويلة والمجيدة. لا يملك وقتًا للردّ. يقفز ويمدّ جسمه إلى أقصى ما يستطيع، لكنّ الكرة ترتد عن الأرض، وتميل لتدخل المرمى. قال ميسي فيما بعد: «كان لديّ بعض المساحة للمناورة، ثمّ تقدّم الحارس عن مرماه، ومن حسن حظي أنّ الكرة هزّت الشباك». لم يكن ذلك أجمل أهداف ليو مع البارسا، لكنّه احتفل به كما لم يحتفل من قبل؛ فهو هدف وضع البارسا في المقدّمة في الوقت المناسب. بدأت آمال مشجعي اليوناييتد بالتلاشي، حتى قبل أن يؤكّد ديفيد فيا الانتصار لاحقًا بهدف من تسديدة مقوَّسة بدقة.

صرخ ليو كالمجنون بعد تسجيله الهدف، ثمّ ركل ميكروفونًا منصوبًا في أثناء توجّهه إلى الراية الركنية، وركل لوحة إعلانية، ولولا أنّ زملاءه في الفريق أمسكوه وعانقوه، لوصل طريقه للاحتفال مع أنصار البارسا على المدرجات.





هيسي

لقد سجّل (53) هدفًا في (54) مباراةً خاضها هذا الموسم (31) في الدوري، و 12 في دوري الأبطال، و7 في بطولة كأس الملك، و3 في كأس السوبر الإسباني). وبذا، تساوى بالرصيد مع كريستيانورونالدو الذي تُوجُّ هدفًا للدوري الإسباني برصيد (40) هدفًا، وهو أمر ليس ذا أهمية للبرغوث الذي يفضل إحراز البطولات على الألقاب الفردية.

لقد احتل صدارة هدّافي دوري الأبطال برصيد (12) هدفًا، معادلًا الرقم القياسي الذي بحوزة رود فان نيستروي. وكان الهولندي قد أحرز عدد الأهداف نفسه رفقة مانشستر يونايتد، في موسم 2002م-2003م. يُذكر أنّ ميسي تمكّن من الترتُّب على عرش هدّافي دوري الأبطال للسنة الثالثة على التوالي. وكان قد أحرز اللقب في موسم 2008م-2009م برصيد تسعة أهداف، وتُوجُّ به أيضًا في موسم 2009م-2010م برصيد ثمانية أهداف على الرغم من خروج البارسا من نصف النهائي. يُشار إلى أنّ «القاذفة الألمانية» جيرد مولر، والفرنسي جان بيير بابان، هما اللاعبان الوحيدان اللذان حقّقا هذا الإنجاز من قبل.

لقد سجّل (39) هدفًا في (59) مباراة في دوري الأبطال، وذلك يُعدّ إنجازًا عظيمًا. ليس ذلك وحسب؛ فقد نجح في التسجيل، وكسر النحس الذي لازمه في ثماني مباريات سابقة على الأراضي الإنجليزية. وتعقيبًا على ذلك، قال البرغوث لاحقًا: «قال غابي ميليتو: إنني سأُنهي صيامي عن التسجيل في الملاعب الإنجليزية في تلك المباراة تحديدًا، ومن حسن حظي أنني نجحت. إن تسجيل هدف في النهائي مرّة أُخرى، ومساعدة الفريق على الظفر بلقب مهم، هو أمر غاية في الروعة، وآمل أنّ الجماهير استمتعت به».

ليو ذو الثلاثة والعشرين ربيعًا، هو هدّاف دوري الأبطال للمرّة الثالثة، ناهيك عن فوزه بأربعة عشر لقبًا أُخرى. ولكن، بعيدًا عن الألقاب والإحصائيات،





فكلّ ذلك لا يعني شيئاً ساعة الجدّ؛ فميسي يظهر عند الحاجة، ودائماً ما يقرب المباريات رأساً على عقب، ويلعب بأقصى جهده.

قال بيب غوارديولا بعد النهائي: «إنّه أفضل لاعب رأيته على الإطلاق، وأعتقد أنّي لن أشاهد له مثيلاً في المستقبل. باستطاعتنا التنافس على أعلى المستويات، لكننا لم نكن نلعب بهذا المستوى الرفيع لولاه. لقد أثبتنا للجميع أنّه يمكننا بذل قصارى جهدنا، فلدينا الموهبة، لدينا ميسي. إنّه لاعب فريد من الصعب الإتيان بمثله. أتمنى ألا يتسلل الملل إلى نفسه، وأن نتمكّن من الاستمرار في توفير سبل الراحة له، وأن يواصل النادي إحاطته باللاعبين المميّزين. أتمنى أيضاً أن يظل سعيداً في حياته العملية؛ ليواصل تحقيق مزيد من النجاح».

لم يفشل ميسي يوماً، ولم يشعر بالملل، ولا حتى لدقيقة واحدة؛ سواء في مباراة ويمبلي، أو في موسم 2010م-2011م، وهو موسم تميّز بالصراع الثنائي الأبدى مع ريال مدريد وكريستيانو رونالدو، موسم شهد خمس مباريات كلاسيكو، أُقيمت أربع منها في شهر واحد حافل بالأحداث.

كانت المواجهة الأولى يوم الإثنين الموافق التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني عام 2010م؛ وهو توقيت غير معتاد بسبب الانتخابات العامة لإقليم كاتالونيا المزمع إقامتها يوم الأحد. لذا، كان من الأفضل الابتعاد عن السياسة وإرهاصاتها في تلك الحالة. أشارت الإعلانات الخاصة بالمباراة إلى أنّها ستكون أول كلاسيكو متقارب المستوى منذ أعوام، في إشارة إلى ميل ميزان القوى إلى ريال مدريد، بعد أن كان يصب في مصلحة برشلونة سنوات. لماذا؟ لأنهم يدعون أنّ كريستيانو هو أفضل من ميسي، وأنّ أوزيل عبقرى، ولأنّ دي ماريا وبنزيمة من أفضل المهاجمين، ولأنّ مورينيو ليس مانويل بيليجريني ولا بيرند شوستر، ليس خواندي راموس ولا فايو كابيللو.





ميسي

كان المدرب البرتغالي هو من حطم جهود البلاوغرانا في أثناء قيادته نادي الإنتر قبل ستة أشهر، حارماً غوارديولا وفريقه تذكرة الوصول إلى نهائي دوري الأبطال في مدريد. إنّه الرجل الذي اختاره رئيس نادي ريال مدريد لإبطال سحر الكاتالان. مدرب يشكك من على قمة هرم ترتيب الفرق في الدوري (من دون هزيمة، برصيد (32) نقطة، متقدماً على البارسا بنقطة واحدة) بالنجاح الذي حققه البارسا، متهمًا الحكام والفرق الأخرى بالتساهل معه.

دعاية معتادة من الرجل الخاص، وتبجح يكلفه غالباً. ومع نهاية ليلة باردة ماطرة على كامب نو، كان يمكن لأهداف البارسا الخمسة أن تكون ستة، أو سبعة، أو حتى ثمانية بمنتهى السهولة، ومن دون أن يتمكن أحد من التشكيك في الانتصار. لقد تلاعب البارسا بالريال في الاتجاهات جميعها. لقد طوى النسيان الكرة التي سدّها كريستيانورونالدو من على بُعد (45) ياردة، وحقت عارضة فكتور فالديز من الجهة الخارجية، وكذا دفعه غوارديولا بعد حالة تسلل؛ وهي حالة أفضت إلى بعض اللغط والنقاش بين المدربين. يترك (كريستيانو) برشلونة من دون تسجيل ولو هدفاً واحداً في المباريات الست التي خاضها ضدهم.

لم يتمكن ميسي أيضاً من التسجيل، منهياً بذلك سلسلة من الأهداف امتدت إلى عشر مباريات، لكنّه كان كريماً بصنع الهدفين: الثالث والرابع لديفيد فيا بدقة متناهية. وتلاعب البرغوث بكارفاليو ولاسانا ديارا وببيبي وسيرخيوراموس الذي تلقى بطاقة حمراء في الدقيقة الثانية والتسعين بعد سجل عنيف مع الأرجنتين، وتوجيه لكمات لكل من: تشافي وبويول. فقد راموس السيطرة على أعصابه، وهو أمر متوقّع في ظلّ مباراة غلب عليها التوتر والانفعال، خاصة لدى اقتناع الريال بأنّ الخطة التي انتهجها مورينو ما زالت في طور التطور، وأن أفكاره في حاجة إلى التعديل، وأنّه ما زال يجهد كيفية





التغلب على الغريم الأزلي. أمّا الأمر المثير للاهتمام فكان خسارة فريق يدرّبه مورينيو بنتيجة (5-0)، وهو أمر لم يحدث من قبل.

اتّسم المدرب بالهدوء - أول مرّة- في أثناء انعقاد المؤتمر الصحفي، قائلاً: «إنّها هزيمة من السهل تخطيها. إنّها لا تماثل تلك المباريات التي خسرتها (مع أنّنا كنّا نستحق النصر)، أو نجحنا فيها بالوصول إلى المرمى كثيراً. كان هناك فريقان، أحدهما لعب جيداً، والآخر لم يكن موفقاً في اللعب. يتعيّن علينا التحلّي ببعض المنطق؛ يمكنك أن تبكي سعادة عندما تفوز بألقاب مهمة. ولكن، عندما تخسر بالطريقة التي خسرتها بها اليوم، فلا يحقّ لك البكاء، ويتعيّن عليك تكلمة المشوار. سنعود أقوى ممّا كنّا». ولكن، يتعيّن على هذا الرجل الخاص الانتظار حتى السادس عشر من شهر نيسان عام 2011م؛ موعد المواجهة الثانية مع البارسا، والمواجهة الأولى في ماراثون من مباريات الكلاسيكو.

استطاع أفراد فريق بيب الحفاظ على صدارة الترتيب من التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني حتى نهاية الدوري. لقد تمكّنوا من كسر الرقم الذي كان قد حقّقه ريال مدريد في موسم 1960م-1961م (فريق ضم بوشكاش، ودي ستيفانو، وجينتو، وسانتا ماريا) بتسجيل (16) انتصاراً على التوالي، مبتعداً عن الغريم الأزلي بفارق (8) نقاط. وفي الثاني عشر من شهر نيسان؛ أي قبل أربعة أيام من الكلاسيكو الثاني، تمكّن البارسا من هزيمة شاختر دونيتسك ذهاباً بنتيجة (1-0)، وإياباً بنتيجة (5-0)، ليصل بذلك إلى نصف النهائي، حيث شاءت الأقدار أن يصطدم بريال مدريد الذي نجح بتخطي نادي ليون في ثمن النهائي، وتوتنهام هوتسبيرز في ربع النهائي بسهولة (4-0) في البرنابيو، و (1-0) على ملعب وايت هارت لين). إذن، لدينا الآن مباراتان أخريان، إضافة إلى مباراتي الدوري الإسباني، حيث من المقرر أن





هيسي

يلتقي الفريقان في ذهاب نصف نهائي دوري الأبطال في السابع والعشرين من شهر نيسان، في حين تُلعب مباراة الإياب في الثالث من شهر أيار. يضاف إليها مباراة خامسة في نهائي بطولة كأس الملك تُقام في العشرين من شهر نيسان.

نبدأ في مباراة الجولة الثانية والثلاثين من الليغا، التي تُعدّ الأمل الأخير لفريق مورنيو للمنافسة على اللقب. ثماني نقاط فرق كبير. ولكن، مَنْ يدري؟ فإذا تمكّن الريال من الفوز فقد ينجح في تحطيم معنويات غريمه، وقد يؤثّر فيما تبقى من الموسم. يُذكر أنّ الريال عانى خسارة مريرة أمام سبورتينغ (خيخون) في الثالث من شهر نيسان أبعده عن المنافسة، خسارة هي الأولى لمورنيو على أرضه خلال تسعة أعوام. لكنّ للكلاسيكو حسابات مختلفة؛ فمورنيو حُضر للمباراة بعرض مسرحي من إنتاجه.

لقد ظهر في الليلة التي سبقت المباراة، في القاعة الصحفية بضاحية فالديبياس بمدرّيد، لكنّه لا ينس بيت شفة، تاركاً مهمة الحديث لمساعدته إيتور كارانكا. إنّه لا يقوم حتى بتحية الصحفيين الذين يغادر بعضهم احتجاجاً. ردّ غوارديولا على صمت منافسه بإغداق المديح على الريال: «لم أعرف فريقاً لريال مدرّيد أكثر روعة وتميّزاً من الفريق الحالي. يمكن للاعبيه نقل الكرة من مرمى كاسياس إلى مرمى المنافس في غضون أربع أو خمس ثوانٍ. إنهم أفضل وأقوى ممّا كانوا عليه حين تقابلنا آخر مرّة. يسدّدون أكثر، ويمرّرون أكثر، ويلعبون ضمن الفريق بصورة أكبر منذ النصف الثاني من الموسم. يستخدمون تكتيكات متنوعة تجعل السيطرة عليهم أمراً أكثر صعوبة». ثمّ يضيف واصفاً مدرّبهم: «مورنيو قوي جداً. إنّه يجيد اللعب بأساليب مختلفة. يتعيّن علينا أن نكون يقظين؛ لأنهم يعرفون طريقتنا في الدفاع والهجوم».

زاد حضور البرتغالي من السخونة والتوتر اللذين يميّزان الأجواء. سيكون



- من دون شكّ - البطل الحاسم في مباراة الكلاسيكو خارج الملعب. أمّا على أرض الملعب، فذلك دور ميسي. نجح صاحب الرقم (10) في تسجيل (48) هدفاً في (45) مباراة لعبها هذا الموسم. إنّه أكثر لاعبي البارسا تسجيلاً في موسم واحد، بعدما نجح في تحطيم الرقم الذي حقّقه البرازيلي رونالدو مع الفريق في موسم 1996م-1997م بقيادة بوبي روبسون. وأنّه متقدّم على كريستيانورونالدو بثلاثة عشر هدفاً. قام البرغوث أيضاً بصنع (18) هدفاً مقارنة بـ (7) أهداف صنعها كريستيانو، و(43) اختراقاً ناجحاً مقابل (34) اختراقاً للبرتغالي، لكنّ مشاركته في الفريق تتعدّى مجرد الأرقام. يؤكّد فكتور فالديز هذا الأمر بقوله: «يمنحني ميسي أكثر من مجرد الأهداف؛ إنّه يدعم الفريق دفاعياً وهجومياً. عمله الدؤوب يوجد جوّاً إيجابياً للجميع».

إنّه يُظهر مهارةً وعملاً جماعياً أكبر كلّما لعب. يندمج في الأجواء بصورة أكبر، ويعرف متى يسرّع وتيرة اللعب، ومتى يبطنّها. يشرح غوارديولا ذلك قائلاً: «إنّه يحوّل ما هو عادي إلى شيء استثنائي». لكنّه لم ينجح في التسجيل في مرمى فريق يدربه مورينيو، حيث ستكون هذه المباراة هي التاسعة في المواجهات بين الرجلين.

يقرّر الحكم ركلة جزاء في الدقيقة الثانية والخمسين. فقد عرقل البيول ديفيد فيا أمام المرمى، فتلقّى بطاقة حمراء، وميسي - كما هو معروف - لا يضيّع ركلات الجزاء. وكذا فعل غريمه كريستيانورونالدو في الدقيقة الثانية والثمانين؛ ركلة جزاء أخرى تعدّل النتيجة. إنّه هدفه الأول في مرمى البارسا في المباراة السابعة التي يخوضها أمامهم.

انتهت المباراة الهزيلة بالتعادل (1-1). فقد تقوّع الريال فيما تبقى من دقائق في مناطقه الخلفية؛ خشية استقبال هدف ثانٍ، وقد نجح في ذلك





ميسي

من جرّاء تطبيقه أسلوب الكاتيناتاشو (مصطلح إيطالي يعني مزلاج الباب) الدفاعي المشهور لدى الطليان. الطريقة الوحيدة للفوز عند اللعب بهذا الأسلوب، هي الاعتماد على الهجمات المرتدة. وعلى الرغم من التقدّم في البداية، والوقت المضاف في النهاية، إلا أنّ البارسا فشل في تحقيق الفوز. لقد كان تعادلاً وضع البارسا قاب قوسين أو أدنى من الفوز بالدوري الإسباني للمرّة الحادية والعشرين، وزاد من ثقة الريال في الاستحقاقات القادمة؛ ثقة كبيرة جعلت جماهير البرنابيو تحتفي بالتعادل كما لو أنّ فريقها قد حقّق انتصاراً.

كانت مباراة شاقة أثارت الكثير من الجدل؛ جدل بدأه مورينيو الذي انتقد الحكم في المؤتمر الصحفي، وأشار إلى وجود مؤامرة تُحاك ضد أيّ فريق يدربّه؛ سواء تشيلسي، أو الإنتر، أو الريال: «سئمت من إنهاء المباريات أمام البارسا بعشرة لاعبين. كانت مباراة متوازنة عندما كنّا نلعب بأحد عشر لاعباً. وكما جرى عليه الحال، أصبحت المهمة مستحيلة عندما تلعب بعشرة لاعبين أمام فريق يمتلك أفضل استحواذ على الكرة في العالم. لقد شهدت مرّة أخرى على تحيُّر الحكام».

بعيداً عن مورينيو، هناك أمر آخر يثير الجدل، ويخصّ ميسي هذه المرّة، بعدما ركل الكرة في اتجاه المدرّجات. فبعد أن فلتت منه الكرة، وتعدّدت خطّ الجانب، وبدلاً من تركها، أخذ يسدّها صوب المدرّجات لتصيب بعض الجماهير. لم يوجّه إليه الحكم أيّ تحذير، لكنّ الجماهير تصرخ غاضبة. فيسرع ميسي نحوه، ويسأله: «أمجنون أنت؟». الجمهور في حيرة لا يكاد يصدّق ما رآه توّاً. ما الذي أصاب فتى روزاريو الذي نادراً ما يفقد أعصابه على أرض الملعب؟ لماذا قام بحركة مشينة مثل تلك؟

لا يوضّح ليو هذا الأمر، ولا يبدو عليه الندم حيال ما فعل. وفي هذه الأثناء، اندفع زملاؤه لحمايته. وقد عزوا الأمر إلى التوتر الشديد الذي يسود الملعب،



إلى جانب الرقابة اللصيقة التي يفرضها عليه بيبي، فضلاً عن الأخطاء الخمسة التي ارتكبها ضده لاعبو خطّ وسط الريال من دون الحصول على إنذار واحد. يستمر هذا المسلسل الطويل، وتستمر معه الأحداث نفسها.

إنّه العشرون من شهر نيسان، موعد مباراة نهائي بطولة كأس الملك. يمكننا تقسيم المباراة إلى ثلاثة أجزاء: شوط أول رائع للريال، وسيطرة مطلقة للبارسا في الشوط الثاني، وشوطان إضافيان يمنحان كريستيانو رونالدو ومدرّبهُ النصر.

التفّ صاحب الرقم (7) حول أدريانو، محوّلًا عرضية دي ماريا الملتفة إلى المرمى بقوة. إنّه هدف الفوز الذي منح الريال لقب كأس الملك أول مرّة منذ (18) عامًا.

أين كان ميسي؟ توضّح صحيفة إل باييس أداء البرغوث بالآتي: «كان يأنسًا. لقد حاول صنع الحدث أينما تحرّك في خطّ الهجوم، لكنّ الحظ لم يحالفه قطّ؛ إذ نجح دفاع الريال في التصدي لمراوغاته كلّها. لقد تحكّم البرغوث في المباراة على نحوٍ مبالغ فيه. ومع أنّ الفريق لم يتمكّن من تدوير الكرة في أثناء الشوط الأول، لكن الحال تغيّر في الشوط الثاني، وتمكّن لاعبوه من إمرار كرات رائعة إلى بيدرو في العمق. ولكن، يا للأسف! فالهدف الوحيد الذي تمكّن هذا الأخير من تسجيله ألغى بداعي التسلّل. في نهاية الأمر، عمد على استغلال موقعه قائدًا للفريق، في محاولة للسيطرة على اللعب بصورة مبالغ فيها، وذلك أتاح للريال حسم المباراة». إنّه تقييم عادل، وإنّه أول نهائي يخسره البارسا بقيادة غوارديولا.

ستقام مباراة ذهاب نصف نهائي دوري الأبطال بعد المباراة الآتفة الذكر بأسبوع. استشاط بييب غوارديولا غضبًا في أثناء المؤتمر الصحفي





ميسي

الذي سبق مباراة البرنابيو. وكان مورينيو قد وجّه إليه رسائل بشأن مستوى التحكيم في مباراة ملعب ميستايا (نهائي بطولة كأس الملك)، والحكم المختار لقيادة نصف النهائي. انفجر غوارديولا، وتحدث بحنق أكثر من دقيقتين؛ إنّه أسلوب لم نألفه من المدربّ الشاب الذي استهلّ حديثه قائلاً: «لأنّ مورينيو رفع التكليف، وناداني «بيب»، فسأدعوه «جوزيه». لدينا مباراة نلعبها مساء الغد عند الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة. لقد أحرز انتصارات خارج الملعب منذ بداية الموسم. فليفر بدوري الأبطال. بإمكانه أخذ الكأس معه إلى البيت إن أراد. سنلعب؛ سواء فزنا، أو خسرنا. إنّه يفوز عادة؛ لأنّ مستقبله المهني مضمون في النهاية. أمّا نحن فسعداء بالانتصارات الصغيرة التي نحققها، وتدخّل السعادة في قلوب الجميع، إننا سعداء وراضون. إنّه الرئيس الملعون في هذه الغرفة؛ الأستاذ اللعين. إنّه يفقه أكثر من الآخرين ولو اجتمعوا. لا يوجد لديّ أدنى رغبة لمنافسته في مجاله».

كان ليونيل ميسي هو الأستاذ على أرض الملعب في اليوم اللاحق. أمّا مورينيو فأستاذ في المؤتمر الصحفي بطبيعة الحال. لعبتان ناجحتان، وهدفان من الأرجنتيني الذي نجح في تدمير ريال مدريد، الذي يلعب بتحفظ دفاعي واضح. حاول البلاנקوس وقف ميسي منذ البداية، لكنّه لم يحاول فرض أسلوبه، لدرجة جعلت كريستيانو رونالدو يشير بيأس إلى زملائه بعد ربع ساعة من اللعب كي يتركوا مواقعهم ويساندوه في صنع الفرص. كان كريستيانو نفسه هو من صنع أخطر فرصة للريال قبل نهاية الشوط الأول بقليل. فقد سدّد الكرة بقوة من مسافة بعيدة جدًّا، مُزعجًا فكتور فالديز، وهو إزعاج لم يتكرّر في المباراة إلّا لاحقًا بتسديدة من أوزيل. ولكن، حتى تلك اللحظة، كانت فرصة رونالدو هي الوحيدة الجديرة بالذكر.





على الطرف الآخر، نجد ميسي يلعب في العمق كأنه لاعب خط وسط بسبب الرقابة المفروضة عليه؛ بغية إبعاده عن منطقة الجزاء، حيث يمكنه إحداث الأضرار. أمضى الوقت بالجري والمراوغة اللذين لم يسفرا عن شيء. لكنّ الوضع تغيّر في الدقيقة الستين حين أعاق بيبي داني ألفيش بعنف، فنال بطاقة حمراء. لم تُثنِ مناقشاته الحكم الألماني فولف غانغ ستارك عن العدول عن رأيه. لم يتردد الحكم أيضًا في طرد مورينيو إلى المدرجات بعدها بدقيقتين نتيجة ردة فعل مبالغ فيها من طرف هذا الأخير.

يلعب فريق البارسا الآن بصفوف كاملة أمام فريق الريال المنقوص، وقد تمكّن ليو من الوصول إلى منطقة جزاء المنافس، ثمّ حام بين لاعبي الريال في الدقيقة السابعة والسبعين كنجلة لا مبالية ليصل إلى حافة منطقة الجزاء، ويسدّد. ارتدّت الكرة، لتصل إلى تشافي الذي يمرّها نحو أفيلاي على الجناح، فيجري لاعب الوسط الهولندي، ويلعبها عرضية من عند الراية الركنية في اتجاه نقطة الجزاء. وفي هذه اللحظة، يسبق ميسي سيرخيو راموس في الوصول إلى الكرة، فيغمزها بطرف قدمه في المرمى، لتصبح النتيجة (1-0). ثمّ يعاود البرغوث الكرّة بعد عشر دقائق. الأمر أكثر روعة هذه المرّة؛ إذ انطلق من دائرة الوسط، ثمّ مرّر الكرة إلى بوسكيتس الذي أعادها إليه، ليتسلمها ويبدأ مشوارًا متعرجًا، متجاوزًا راموس، ومتخلصًا من إبيول، ثمّ غيرّ الاتجاه، ودخل منطقة الجزاء، وأخذ يراوغ مارسيلو، ثمّ وضع الكرة في المرمى على نحوٍ رائع قبل أن يتمكّن راموس من اللحاق به.

انتهت المباراة، وكان ميسي أستاذًا بحقّ في هذه المباراة تحديدًا. وفي المقابل، فقد تفوّق مورينيو على نفسه مرّة أخرى في فنون الاستفزاز، وأصر على تزعم المؤتمر الصحفي، قائلًا: «لقد أقصي ريال مدريد من دوري الأبطال. سوف نذهب إلى كامب نو برؤوس مرتفعة، وباحترام كامل لعالم كرة القدم





هيسي

الذي نعيش فيه، مع أنه عالم يشعرني بالاشمئزاز في كثير من الأحيان. سوف نذهب من دون بيبي الذي لم يقترف أي خطأ طوال المباراة، ومن دون راموس الذي لم يرتكب خطأً هو الآخر، ومن دون المدرب الذي لن يُسمح له بالجلوس على الدكة... وبنتيجة لا يمكن تعديلها. وفي حال تمكنا هناك من تسجيل هدف، وأنعشنا فرصتنا بأي شكل من الأشكال، فأنا متأكد أنهم سيسحقون أحلامنا مرّة أخرى. سؤاله هو: لماذا؟ لماذا لا يُسمح للفرق الأخرى بمنافستهم؟ أنا لا أفهم الأمر! لو قلت للحكم والاتحاد الأوروبي رأيي فيما حصل اليوم هنا لانتهدت مسيرتي المهنية في الحال. لا أعرف إذا كان الأمر يتعلّق برعايتهم لمنظمة اليونيسيف، أو بابتسامتهم الأكثر عدوّة، أو بفيار (رئيس الاتحاد الإسباني لكرة القدم) الذي يحظى بسطوة كبيرة على الاتحاد الأوروبي. في واقع الأمر، إنهم يمتلكون شيئاً يصعب التغلّب عليه؛ ألا وهو النفوذ.

لماذا طُرد بيبي؟ لماذا لم يُمنح تشيلسي أربع ركلات جزاء يستحقها؟ لماذا طُرد فان بيرسي؟ لماذا طُرد موتا؟ من أين يأتون بذلك النفوذ كلّه؟ يجب أن يكون نفوذهم نابغاً من مهارتهم في كرة القدم؛ فهم يمتلكون تلك المهارة، ويجب أن يفوزوا بسببها. على المرء أن يكون حقيراً ليستمتع بذلك النوع من الانتصارات. غوارديولا مدربّ عظيم، لكنّه فاز ببطولة في دوري الأبطال بطريقة أخجل أن أفوز بها. فاز بها بفضل فضيحة جرت على ملعب ستامفورد بريدج. وسوف يفوز هذا العام ببطولة ثانية بفضل فضيحة ستجري على ملعب البرنابيو. لذا، أتمنى أن يحظى غوارديولا يوماً بفرصة الفوز بدوري الأبطال على نحوٍ مشرفّ ونظيف؛ فهو يستحق ذلك».

قدّم مورينيو عرضاً مميّزاً. لقد ألقى خطبة شديدة اللهجة ستكلّفه غالباً مرّة أخرى. فقد غرّمته لجنة الانضباط التابعة للاتحاد الأوروبي مبلغ (50,000) يورو في السادس من شهر أيار، وأوقفته خمس مباريات، بما في ذلك تلك المباراة.





في يوم الثالث من شهر أيار - موعد إياب نصف النهائي في كامب نو - اختفى مورينيو عن المدرجات، لكنه كان يشاهد المباراة عن طريق التلفاز من غرفته في الفندق. لقد أخذ يتابع فريقه، وهو يلعب بطريقة أكثر جرأة وطموحاً من بقية مباريات الكلاسيكو. تمكّن لاعبه من إرغام البارسا على التوقيع في مناطقه الخلفية، وتمكّنوا من محاصرتهم في نصف ملعبهم في ربع الساعة الأولى.

لكنّ البارسا تمكّن من فرض أسلوبه شيئاً فشيئاً. وتمكّن ميسي أخيراً من الانفراد بكاسياس الذي صدّ ثلاث محاولات بمهارة فائقة في خمس دقائق، مُبقياً على آمال فريقه. لم يتمكّن ميسي من التسجيل هذه المرّة، لكنّه يواصل الجري والضغط. ثمّ يتسبّب في تحذير لكارفاليو، وفي بطاقتين صفراوين لكلّ من: ألونسو، وأديبايور. لقد تعرّض للعرقلة (12) مرّة، وبدا محطماً تماماً. لقد كان عاملاً حاسماً في تأمين بطاقة العبور إلى ويمبلي، في المباراة التي انتهت بنتيجة (1-1) على الرغم من أنّه لم يسجّل.

وفي الوقت الذي يحتفل فيه البلاوغرانا بعد شهر مُضن، انشغل الريال بالشكوى من تحيُّز الحكم، ومن وجود شبكة خفية رجّحت كفة غريمهم التقليدي مرّة أخرى. واحتج الريال على الهدف المُلقى الذي سجّله غونزالو هيغواين بحُجّة وجود خطأ مزعوم على كريستيانو. يبدو أنّ الجميع قد تعلّموا أسلوب مورينيو في الخطابات النارية، بدءاً بكارانكا، وانتهاءً بإيكر كاسياس. وقد أكّد كريستيانو رونالدو هذا الأمر بقوله: «هذا هو الجزء الرابع من فيلم «مهمة مستحيلة». يمتلك البارسا فريقاً عظيماً، لكنّ أموراً أخرى تجري هنا. لا أقصد التلميح إلى وجود فساد ما، لكنّ الأمر يزعجني».

في خضم هذا الصخب كلّه، ركب ميسي موجة السعادة التي تجتاح ملعب كامب نو. وعندما بدا أنّ الإثارة ستطفئ على السطح، اقترب منه بيب غوارديولا، ثمّ عانقه بحرارة.





ميسي

حان وقت الاحتفال مرّة أُخرى في الحادي عشر من شهر أيار؛ إذ تمكّن البارسا من الفوز بالدوري الإسباني للمرّة الثالثة على التوالي بعد تعادله مع ليفانتي بنتيجة (1-1) على ملعب سيوداد دي فالنسيا. وقد علّق ميسي على هذه المناسبة، قائلاً: «لقد كان موسمًا صعبًا جدًّا، عملنا فيه بأقصى طاقتنا للتغلّب على غريمنا الأزلي ريال مدريد. لقد واجهتنا ظروف صعبة جدًّا، لكننا عرفنا كيف ننتفض، ونصل القمّة».

ولكن، حين تسلّم ميسي الميكروفون في الاحتفال الذي أُقيم يوم الجمعة على كامب نو، صرخ قائلاً: «من الرائع الاحتفال بالفوز بلقب الدوري مرّة أُخرى، لكنني سأحتفظ بتعليقاتي حتى التاسع والعشرين حين نعود من لندن. عندها فقط سأخبركم عن شعوري».

وفى ليو بوعده قبل الموعد بيوم. إنّه في ويمبلي والكرة عند قدميه. فرح كثيرًا عندما عرف بشأن الحركة النبيلة التي ينوي كارلوس بويل القيام بها؛ إذ قرّر هذا الأخير منّح المدافع إيريك أبيدال شارة القيادة؛ لكي يتمكّن الفرنسي من رفع الكأس. يا له من موقف نبيل حيال الرجل الذي تعافى توتًا من سرطان الكبد، الذي كان قد سُخِّصَ لديه في شهر آذار الفائت، لكنّه خضع لعملية جراحية، وها هو ذا يعود إلى اللعب في معقل كرة القدم (ملعب ويمبلي)! يحضن ميسي الكأس ضاحكًا، رافعًا ثلاث أصابع دلالة على الكؤوس الأوروبية الثلاث التي فاز بها. ثمّ يخبر الجميع بأنّها كانت مباراة لن ينساها أبدًا: «كنا الأفضل اليوم، وفزنا بجدارة. إنّ ما حقّقه هذا الفريق هو أمر خارق. لست متأكدًا إذا كنا قد استوعبنا الأمر حتى هذه اللحظة. نريد فقط أن نواصل الفوز. والآن، لقد حان وقت الإجازة، أو بالأصح المشاركة في بطولة كوبا أمريكا. ولكن، حالما نعود، سنواصل من حيث انتهينا».

